مؤتمر الرهاب من الإسلام (الإسلاموفوبيا)

د. محمد خليفة صديق*

مقدمة

أصبح التخوف الأعمى من الإسلام والمسلمين خطراً يهدد وجودهم وحقهم في ممارسة حياتهم ويمنع تكاملهم مع المجتمعات التي يعيشون في أوساطها، وتشكل أحداث الاعتداءات الدائمة مظهرًا يجمع بين كونه نتيجة وسببًا لهذا التخوف ، مما دعا لمدارسة ظاهرة الرهاب من الإسلام، وطرح الأسباب والنتائج والتصور لوسائل التخفيف من تنامي هذه الظاهرة التي أضرت بأخلاق التعايش والتعاون، وهدف سعي الإنسان لسعادته في حياته ومحيطه.

وفي هذا الإطار نظم منتدى العلاقات العربية والدولية في قطر، أخيرا مؤتمر "الرهاب من الإسلام "الإسلاموفوبيا"، تناول أسباب ظاهرة الرهاب من الإسلام، وتجليات هذه الظاهرة، ومظاهر الإقصاء، والاستغلال القانوني لمشاعر الكراهية ضد المسلمين لاستصدار قوانين موجهة ضدهم، وعنف بعض الشباب المسلم ضد مجتمعاتهم الغربية سواء هاجروا إليها أو هي أوطانهم، وأسباب هجرة بعض المسلمين لمواقع الصراعات المسلحة، ودور الإعلام والمؤسسات والحكومات والأفراد في نشر الوئام والسلم العام وتخفيف الضرر المسبب لهذه الظاهرة.

وأكّد د. محمد حامد الأحمري مدير مُنتدى العلاقات العربية الدولية في كلمة افتتح بها المُؤتمر بالدوحة أن الظّروف الراهنة تحكم ظاهرة "الإسلاموفوبيا" الخطيرة والتي تؤثّر سلباً على مسار العلاقات الدولية، لافتاً إلى أن هذا الموضوع اختير نظراً للتطورات والمعطيات والتحيزات التي يشهدها العالم، حيث إن هناك تحيزاً كبيراً ضد الدين الإسلامي، خاصة في الغرب الذي تحكمه ثقافات تتعارض في بعض محطاتها وتشريعاتها مع نصوص وتشريعات الإسلام كدستور للعالم.

وحذّر الأحمري من مغبة استمرار ذلك المفهوم، باعتبار أنه لن يتم تحقيق الأمن والاستقرار العالمي والتفاهم بين الثقافات المختلفة ما لم يتمّ إسقاط هذا المفهوم الخاطئ ضد الإسلام والمسلمين، مؤكدا أن الإسلام دين محبة وتسامح وتفاهم وهو دستور لكل شعوب الأرض وليس لطرف على حساب آخر، متسائلاً لماذا ذلك العداء والتحيز ضده؟، وقال: نحن هنا نعالج قضية التحيز ضد الإسلام، حيث إن هذا العالم بات يئن تحت تأثير التحيزات ذات الأثر السلبي في مسار العلاقات الإنسانية الدولية.

وحمّل الإعلام الغربي تبعية تأجيج العداء والتحيز ضد الإسلام، خاصة في الولايات المتحدة والغرب الأوروبي، لافتاً إلى أن اصطدام مناطق العالم الإسلامي مع الغرب القائم منذ الحروب الصليبية وحتى الآن مازال يتأجج، مشيرا إلى أن هذا الجزء من العالم تسوده أفكار مشوشة، إذ إن هناك مشاعر عداء للإسلام تمر مع الزمن وتكبر بحكم تنوع الثقافات وتأثير الإعلام المغرض.

ودعا الأحمري لترسيخ ثقافة التفاهم والتقارب والحوار البناء لخلق فضاء آمن على المستوى العالمي وترسيخ حقوق الإنسان بالشكل الصحيح كونها أصبحت، أي حقوق الإنسان، أداة ضغط دولي لاعلاقة لها بالإسلام وفق منهجه الصحيح في هذا الإطار، مشيرا إلى الموقف الغربي الذي لا يأخذ بالاعتبار حقوق الإنسان المسلم، مما أجج المشاعر التي تتسم بالغضب في العالم الإسلامي الذي بات يشعر بالألم إزاء هذا التحيّز الغربي ضده.

وفيما يلي ملخصا لأوراق ومداولات المؤتمر:

الإسلاموفوبيا : التعريف والمصطلح:

تضمن برنامج المؤتمر مجموعة من الجلسات تحمل كل واحدة عنوانا معينا، حيث تناولت الجلسات الأولى للمؤتمر محور الإسلاموفوبيا: التعريف والمصطلح"، حيث قدم الدكتور أحمد الجنابي الباحث بمعجم الدوحة التاريخي للغة العربية ورقة بعنوان: " إسلاموفوبيا : تاريخية المصطلح ومنطلقاته، حيث صَنَّف المصطلح عربيًا بأنه من الدخيل، وهو مركب من كلمتين: عربية وهي: (إسلام)، وغير عربية وهي: (فوبيا) بالإنجليزية (Phobia) والتي أصلها يونانية: (φόβος)، والمصطلح بهذا الرسم العربي: (إسلاموفوبيا) لا يعني بالضرورة فهمه لدى كل من يتحدث العربية، وقد أخذت ترجمته إلى اللغة العربية تعبيرات عدة؛ منها: الرهاب من الإسلام، أو رهاب الإسلام، أو الإرهاب الإسلامي، والخوف منه، أو الخطر الأخضر، سيف الإسلام، أو التحدي الإسلامي، أو المسلم المتوحش...إلخ، ويندرج هذا المصطلح في حقل المصطلحات النفسية الوظيفية السيكو-اجتماعية.

وقال الجنابي أن استعمال المصطلح في الإنجليزية والعربية ظهر في قرن واحد وهو القرن العشرين، لكن المصطلح مستعمل في الإنجليزية من بدايات القرن، بينما استعماله في العربية جاء في نهاية القرن، وكلا الاستعمالين يندرج تحت الخطاب الإيديولوجيّ، والراديكالي من الأحزاب اليمينية والعنصرية، مشيرا لتباين المنطلق في استخدام هذا المصطلح، فغربيًا كان هجوميًا، وعربيًا كان دفاعيًا، بمعنى أن منطلقه الغربي كان عدائيًا أو تحذيريًا، بينما كان استخدامه العربي نفيًا لهذه التهمة ومحاولة إثبات عكسها.

وذكر الجنابي أن (إسلاموفوبيا) ليس لها مقابل في الخطاب الإسلامي تجاه الأديان الأخرى، فليس هناك مصطلح مستعمل لـ(يهودوفوبيا)، ولا لـ(مسيحوفوبيا)، سواء كان الخطاب الإسلامي معتدلًا أو متشددًا، فالخوف من طرف واحد، وهو الجانب الغربي، في حين أن معه القوة المادية، و"الانتصارات" العسكرية على "الإرهاب" في بلاد المسلمين،

موضحا أن إشكالية المصطلح من جانب آخر تتشكل من حيث ربط الخوف بالإسلام وليس بالمسلمين، فلم يقولوا: (مسلموفوبيا)، مع أن استعماله إن وجد لكان أدق؛ لأنه سيحدد الخوف من جماعة مسلمة ما، مسلحة أو غير مسلحة، وليس من كل المسلمين سواء المتعايشين معهم في الغرب أو الذين ليست لديهم كراهية لهم ولا عدائية في بلاد العرب والمسلمين.

وخلص الجنابي إلى أن ظاهرة (الإسلاموفوبيا) تحولت من حالة مَرَضية نفسية إلى حالة ممارسات قولية وفعلية فردية وجماعية بهذا الاسم وبغيره، وبردة فعل وبغيرها، وإلى انتهاك لحقوق الإنسان العربي المسلم في الغرب وفي بلاده ووطنه الأم، وهي في تزايد من خلال استطلاعات الرأي العام، الأمر الذي يستوجب دراستها وبحثها من جديد، وبتضافر تخصصات عدة وتجارب متنوعة لعلاج هذا المرض الاجتماعي.

البحث الثاني في هذا المحور كان بعنوان: الإسلاموفوبيا: مصطلح زائف لظاهرة حقيقية، قدمه الدكتور طيبي غماري، عميد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر بالجمهورية الجزائرية، حيث أبان إن ظاهرة الإسلاموفوبيا أصبحت في العشرين سنة الماضية ثقافة تميز الجماعات الدينية المتطرفة المعادية للإسلام، ومن ثم فهي مسألة مرتبطة بشكل وثيق بالتمييز العنصري، وليست مجرد إحياء للحروب الصليبية ضد الجهاد، بل إنها شكل حديث للعنصرية المعادية للإسلام، وهو الأمر الذي يجعل منها قضية حقوق إنسان، أي أنها تستدعي تجنيداً دولياً ومؤسسياً على أعلى مستوى، بل إن ما لا يمكن إخفاؤه اليوم هو أن الإسلاموفوبيا والكراهية للمسلمين، تحولت خلال العشرية الأخيرة إلى سياسة دولة في أوروبا والولايات المتحدة.

ووصف غماري الإسلاموفوبيا بأنها هي نتيجة فكر عنصري ومتطرف يريد إقصاء الآخر، وعادة ما يتم استغلالها من قبل بعض الوصوليين لتحقيق أهداف سياسية شخصية، فالكراهية التي تؤدي إلى مختلف أشكال الجرائم ضد الإسلام والمسلمين تزداد حدة وتكثر بالتزامن مع الهجمات التي يقوم بها المسلمون باسم الإسلام ضد المجتمعات غير المسلمة.

وأوضح غماري أن هذه النزعة المعادية للإسلام تتجسد في خطاب اليمينين المتطرفين، الذين لا يتوانون في استغلال فزاعة الخطر الإسلامي لتسويق برامج سياسية واقتصادية فاشلة أصلا، وقال: " حزب مارين لوبان Marine Lepen "الجبهة الوطنية" في فرنسا هو أكبر دليل على ما أقول، إذ لا يخفى على أحد ما يقوم به هذا الحزب من اقتناص للفرص من أجل رفع وعائه الانتخابي، واقترب من الفوز بالانتخابات الماضية، بفضل استثماره في آلام الفرنسيين وحالة الغضب التي أحدثتها هجمات باريس الأخيرة".

وأكد غماري في بحثه أن مفهوم الإسلاموفوبيا غير قادر على التعبير عن حالة العداء التي تواجه المسلمين في الغرب وحتى في بلدانهم، مشيرا إلى أنه من الضروري أن يتوقف المسلمون عن استخدام مفهوم الإسلاموفوبيا بشكله الحالي، وتعويضه بمفهوم آخر هو معاداة الإسلام Anti Islam، وقال: " ان تجاوز مفهوم الإسلاموفوبيا يعني بكل وضوح التوقف عن استخدامه رسميا وإعلاميا وعلميا لتوصيف حالات الاعتداء المختلفة الأشكال التي يتعرض لها المسلمون في الغرب بسبب تدينهم أو الشك في تدينهم الإسلامي".

فيما تناول أستاذ العلوم السياسية والعلاقات الدولية في جامعة جيجل الجزائرية د. عبد الرفيق كشوط في بحثه الذى يحمل عنوان " الإسلاموفوبيا والمسلموفوبيا : اختلاف المضامين وتقاطع النتائج " التأكيد أن ظاهرة الإسلاموفوبيا تغطي حيزاً واضحاً في تجاذبات العلاقات بين الغرب بصفة عامة والمسلمين، وسواء كان ذلك على المستوى الرسمي أو المستوى الجماهيري، حتى أصبح العداء للإسلام والعداء للمسلمين أو العنصرية ضد المسلمين من أبجديات العلاقات التي تحكم التفاعلات الروتينية أو الديناميكية بين الغرب والمسلمين.

ورأى كشوط أن واقع الحال يشير إلى وجود تباين لا نمطي بين ما يمثله الإسلام كدين وعقيدة وفلسفة حياة وبين ما يدينه ويعتقده منتسبو الإسلام، الأمر الذي جعل الخوف من الإسلام يأخذ شكلين قد يختلفان من حيث المضامين الحياتية والفلسفية والوجودية والعقائدية، ولكنهما يتطابقان من حيث النتائج التعميمية التي توصف وتلصق مفهوم الرهاب من الإسلام بمفهوم الرهاب من المسلمين (الإسلاموفوبيا - المسلموفوبيا).

كما قدم الأستاذ سعيد أحمد خان المحاضر في قسمي التاريخ والشرق الأدنى والدراسات الآسيوية في جامعة وين في الولايات المتحدة الأمريكية ورقته التي حملت عنوان: " الهجرة والهلع الاخلاقي : منطلق جديد للدراسات المقارنة للإسلاموفوبيا في الولايات المتحدة وأوروبا" .

الإسلاموفوبيا .. تاريخ الظاهرة في الغرب:

وضمن محور تاريخ ظاهرة العداء والخوف من الإسلام في الغرب، قدم الباحث الموريتاني د. محمد المختار الشنقيطي، الأستاذ المشارك للاخلاق السياسية وتاريخ الأديان بمركز دراسات التشريع الإسلامي والاخلاق بجامعة حمد بن خليفة في قطر، ورقة بعنوان: تطور صورة المسلمين في العقل الأميركي من أيام كولومبوس إلى الزمن الحاضر، أكد فيها أن الوثائق الامريكية القديمة تؤكد على أن النظرة كانت سلبية في الماضي تجاه المسلمين، مشيرا إلى أن الغرب القديم نظر إلى العالم الإسلامي باعتباره استبداديا ومناهض للمسيحية، علاوة على عشقه للقتل والتدمير وسفك الدماء.

وأضاف بأن الرؤية الغربية تجاه الأوطان والسكان المسلمين كانت هي الأخرى سيئة، وهذه الصورة النمطية كانت سائدة في غالبية المجتمعات الغربية، والدليل على ذلك وجود مؤلفات وكتب عديدة تصف هذه الصورة بأبشع الصفات، منوها إلى أنه رغم هذا الوضع القاتم كانت هناك بعض الاستثناءات التي أنصفت المسلمين والإسلام ولكنها ظلت قليلة ومتوارية قياسا بشيوع الصورة السلبية وانتشارها.

وأشار الشنقيطي إلى أن هناك مدارس ما زالت تعمل حتى الآن على تثبيت هذه الصورة السلبية تجاه الإسلام والمسلمين، غير أن هناك محاولات قوية ومدارس مضادة صححت هذا الوضع ومنهم على سبيل المثال إدوارد سعيد، وجاك شاهين، وتيموثي مار، وريتشارد باركر، وإيفون حداد، وغيرهم كثيرين.

وأكد الشنقيطي أنه يمكن تقديم العديد من التوصيات للتغلب على تلك الظاهرة منها الدراسة المعمقة لتاريخ وثقافة الولايات المتحدة، وبناء مراكز أبحاث ودراسات تشرح الإسلام والمسلمين في الغرب، فضلا عن الاستثمار في مجال الإعلام الغربي والسعي لتصحيح الصورة السلبية للمسلمين من خلاله.

من جانبه، أكد أستاذ العلوم السياسية بجامعة إفريقيا العالمية بالسودان د. محمد خليفة صديق في ورقته: مصادر التنظير للإسلاموفوبيا من اربان الثاني إلى باميلا اندرسون، أن ظاهرة الرهاب من الإسلام صارت من الظواهر التى تسود بين جميع مستويات الحياة وصنوف البشر في الغرب عموماً، وأمريكا على وجه الخصوص، موضحا أن مشاعر الإسلاموفوبيا جلية فى قطاعات عديدة من المجتمع الأمريكى، تغذيها الوسائط الإعلامية، ومراكز الأبحاث ومن يوصفون بالخبراء، والأكاديميون، والباحثون، وجماعات الضغط بتنوع مشاربها ومطامعها، وتنظيمات النشطاء في شتى المجالات.

وأضاف خليفة أن مشاعر الإسلاموفوبيا أو بعض مظاهرها على الأقل تنتشر بين معظم الغربيين من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، ومن المتدينين إلى الملحدين، موضحا أن كل من يسيطر عليهم هوس الإسلاموفوبيا يعتقد أن كل مسلم حقير أحمق، وإرهابى مخرب؛ فالإسلاموفوبيا خوف وعداء مبالغ فيهما لا يتوقفان فقط عند مستوى الشعور أو الفكر، بل يتخطيانه إلى مستوى العمل من خلال الحض على - أو المشاركة في - تهميش المسلمين والإسلام كجماعة ودين من الحياة العامة في الغرب على مستوياتٍ مختلفة وتشويه صورتهم، بمشاركة كتَّاب وسياسيين وإعلاميين وكتب وسياسات ومظاهرات وحركات جماهيرية وغيرها.

وأوضح أن هوس "الإسلاموفوبيا" سيطر على عدد من الرؤساء الأمريكيين، وعلى رأسهم الرئيس "بوش" الابن وإدارته، وعمد الديمقراطيون والليبراليون إلى نشر التنميطات، التي تستدعي لا عقلانية العرب والمسلمين، وعداءهم للحداثة، من أجل تبرير دعمهم لهيمنة الولايات المتحدة، الاقتصادية والسياسية، وواصل الإعلام في نصرة وهذا التيار السائد الأمريكي، وبات الجميع لا يفهم مقاومة العرب لأعمال عنف الصهاينة، والجرائم السياسية الأمريكية في المنطقة، سوى على أنها برهان على تخلف العرب والمسلمين.

ودعا خليفة في ورقته منتدى العلاقات العربية والدولية لإنشاء مرصد بحثى يقوم برصد الإساءات ضد الإسلام والمسلمين في كل الدول والمنصات الإعلامية، ويبحث فى أطراف الإساءة وسياقها، ويحلل المعطيات ويتواصل مع الجاليات المسلمة فى الخارج والمؤسسات الإسلامية المعتبرة فى الداخل، لتقديم أفضل السبل المطروحة للرد على الإساءة وردها والاستفادة منها فى تحسين صورة الإسلام والمسلمين.

وطالبت الورقة بالسعي لمساعدة الجاليات الإسلامية في الغرب على التعاطى مع الأزمات بحكمة وعقلانية، بما يحقق صالح الإسلام والمسلمين، و إنتاج خطاب إعلامى يخدم مصالح المسلمين في العالم بكل اللغات الحية، يدفع نحو مساندتهم على المستويين الرسمي والشعبى لدى الغرب، والسعي بكل السبل المتاحة لمساعدة الغرب وأمريكا على أن يكونوا أكثر مرونة وأمنا من خلال موافاة عامة الناس هناك بمعرفة واقعية عن هذا الدين الإسلامي، بدلا من بث الرعب بتوقع هجمات من وحي الخيال والإستسلام لفوبيا لا وجود لها على الأرض.

فيما طرح الباحث المغربي يونس الخمليشي المتخصص في الفلسفة العلمية موضوع ورقته حول: الأصول المعنوية للإسلاموفوبيا، موضحا أن ظاهرة الإسلاموفوبيا في الغرب هي الصيرورة الحتمية لتاريخ أوروبا الضارب في جذور الاحتياط من الإسلام وتصوره على شكل عدو يهدد كيان أوروبا وقيمها وحضارتها، مبينا أن مقولة الفوبيا ظهرت في الوعي الأوروبي عبر تراكم الخوف الثقافي والعسكري والاجتماعي والحضاري من الإسلام والذي يمثَّل في الدولة بمواطنيها ومؤسساتها.

وأضاف الخمليشي أن هناك انواع من الفوبيا منها الثقافية، والعسكرية، والاجتماعية، منوها إلى أن الدولة الحديثة أصبحت تتصور علاقتها بالإسلام علاقة جدل حيث أن وجود الآخر مرهون بإعدام الأنا والعكس ، وبدأت تكرس العداء في صفوف أفرادها للإسلام أو بدأ الكلي ينعش الجزئي بقيمه للحفاظ على ذاته لأن الكلي هو مجموع الجزئي .

وقال أن مقولة الفوبيا تناسلت في الوعي الأروبي عبر تراكم الخوف الثقافي والعسكري والاجتماعي و الحضاري من الإسلام، والذي يمثَّل في الدولة بمواطنيها ومؤسساتها، حيث فكك البحث الفوبيا الأروبية بما هي فوبيا الحضارة فوبيا ثقافية وفوبيا عسكرية جاءت من العقيدة العسكرية العثمانية التي سهرت على فتح الأمصار بشكل لا يوازيه في القوة فتح العقول بالدعوة والتبليغ للإسلام، مما ساهم في توسيع الفجوة بين الإسلام والغرب ، بجانب الفوبيا الاجتماعية.

ورأى الخمليشي أن تراكم الفوبيا في جميع مراحل بناء الوعي الأروبي والذهن الغربي، أنتج مجتمعاً مترهب من الإسلام وهو ما نعاينه اليوم، مشيرا إلى أن الغرب يحاول إعادة تجربة الاستشراق الناجحة من قبل في صرف الأروبيين عن الإسلام عبر الكذب عليه، في صورة استشراق جديد أخذ منحى جديداً يتجسد في الإعلام المصور للمسلمين كإرهابيين.

فيما عرض الباحث في قسم الأديان بجامعة جوهانسبيرج بجنوب إفريقيا الكسندر عباسي "جذور الإسلاموفوبيا العنصرية: مواجهة اسبانيا للمغاربة الجدد"، أما الناشط الأرجنتيني في مجال حوار الأديان وتقاربها لوكاس اوروهيرشتاين فقدم بحثا بعنوان " تفكيك الإسلاموفوبيا : منظور فلسفي يهودي ".

مغذيات وأسباب الاسلاموفوبيا:

المحور الثالث للمؤتمر حمل عنوان " مغذيات وأسباب"، قدم فيها د. عبد الباسط غابري الأستاذ المساعد في مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان في جامعة الزيتونة بالجمهورية التونسية، بحثا بعنوان: أثر الصورة النمطية للإسلام في تشكيل الرهاب الغربي، قال فيه أنّ الموقف الغربي من الإسلام لم يكن مجرّد اختراع لخطر جديد يحلّ محلّ الخطر الشيوعي الآفل، وإنّما نتاج لدينامية تاريخية وعمليات تلاعب عقلي ونفسي، ومنظومة معرفية متكاملة تعيد إنتاج الأنساق الاجتماعية والقيمية بما يتلاءم مع احتياجاتها وتوازناتها، مشيرا إلى أن البحث في مسألة الصورة النمطية يشكل مدخلا أساسيّا لتفكيك تلك المنظومة الذهنية والنفسية وتحليلها واستكناه مختلف العوامل المتحكّمة في المخيال الفردي و وعيه، فالثقافة الغربية تختزن صورة "مقنّنة" عن الإسلام. ولم تكن مجرّد انطباعات وآراء من اليسير تفنيدها لاصطباغها بنزعة عقلانية كانت تهدف إلى ترسيخ تلك الصورة بصفتها صورة حقيقية ثابتة لا سبيل إلى مراجعتها.

وقال غابري أنه بحث في آليات تشكيل صورة الإسلام النمطية ومضامينها في الغرب انطلاقا من تحليل مختلف المؤثّرات الميتية (الأسطورية) واللاهوتية (الدينية) والعقلانية التي تعاضدت في صياغتها، من خلال مؤلفين بارزتين هما: كتاب "أزمة الإسلام" للمستشرق الأمريكي البريطاني برنارد لويس، وكتاب "الإسلام والمسيحية" للمستشرق الروسي اليكسي جورافسكي، مشيرا إلى أن اختيار الكتابين لم يكن اعتباطيا، وإنّما احتكم فيه إلى خصوصيّة الإشكالية المطروحة التي تتّصل بتقاطع الأيديولوجي والمعرفي في صياغة صورة نمطية عن الإسلام أفضت إلى إشاعة الرهاب والإسلاموفوبيا.

وخلص غابري إلى أن موقف برنارد لويس ممّا يسمّيه بالغضب الإسلامي أو الإرهاب الإسلامي هو نزعة أيديولوجية بيّنة تتعمّد عدم التمييز بين مستويات الدين والتديّن أو الإسلام الرسالة والإسلام التاريخ، بالرغم من أنّه من الناحية النظرية كان واعيا بقيمة ذلك التمييز بصفته مؤرّخا رأسماله معرفة تاريخية تقوم على النسبية، موضحا أنه من النتائج التي أفضى إليها ذلك الالتباس عدم دقّة النتائج المستخلصة لا سيما إقراره الضمني بأنّ الإرهاب نتيجة منتظرة من ثقافة عربيّة إسلاميّة مأزومة بسبب تراثها الذي لم يعقلن؛ فأضحى منبعا للحضّ على القتل والفتك والتدمير للآخر المخالف، دون أنّ يكلّف نفسه عناء البحث في العوامل الموقظة لتلك النصوص التراثية في هذه الحقبة التاريخية بالذات، على الرغم من أنّها ظلّت قابعة في المصادر التراثية منذ مئات السنين.

ورأت الورقة أن موقف المستشرق الروسي أليكسي جورافسكي الذي بحث في جذور تشكّل صورة الإسلام النمطية بالغرب خلص إلى أنّ المترجمين الأوائل في الحضارة الإسلامية كانوا مسيحيّين، متأثرين بالثقافة البيزنطية مما كان له أثرا خطيرا في ترسيخ تلك الصورة، جعله أخطر حتّى ممّا تسبّبت به الحروب الصليبية التي كانت في حقيقتها من نتائج تلك الانطباعات الخاطئة والأحكام المسبقة، كما أن حركة الاستشراق الحديثة عمقت ذلك النهج وعزّزته في إطار تلازم ثنائية المعرفة والسلطة.

وطرح الدكتور عارف العبيد استاذ مادة جيوبوليتيكا الشرق الأوسط في الأكاديمية العسكرية اليونانية موضوع يحمل عنوان "الإسلاموفوبيا في المجتمع اليوناني: الابعاد والتحديات وأساليب مواجهتها"، حيث رأى أن الإسلاموفوبيا تنتشر في المجتمع اليوناني المعاصر، وكأنها وباء يصل الى حد التهديد القومي لوجود هذا المجتمع، كما يتم وصف الحركات الدينية في العالم العربي على انها حركات متطرفة، فيتم إخفاء دورها التحرري من قوى الاحتلال الخارجي للمناطق العربية، مثل الحركة السنوسية ضد الطليان، والمهدية ضد الانكليز، والوهابية ضد الأتراك.

وأوضح العبيد أن هذه الابعاد الخطيرة للإسلاموفوبيا وصلت الى حد الشك في كل لاجئ، والنظر إليه على انه متطرف او متشددا يهوى القتل وتهديد حياة المواطن اليوناني، من خلال الإخلال بالأمن العام وضرب استقرار البلد، حيث تعتبر اليونان بلد عمادها الاقتصادي الرئيسي هو السياحة، وأي عنف أو ضربة ارهابية ستشكل تهديدا للاقتصاد القومي.

وكشفت الورقة أن التاريخ السياسي اليوناني الحديث، والذي يدرّس كمنهاج تربوي وطني في المدارس والجامعات الحكومية، يتطرق بشكل مستمر الى فترة الوجود العثماني في اليونان والتي تجاوزت في بعض المناطق ال 400 عام، حيث يتم وصف هذا الوجود بأنه كان احتلالا دينيا اسلاميا لبلد مسيحي اسمه اليونان ذات المبدأ الأرثوذوكسي، مشيرا إلى أن اليونان بدأ يتأثّر بكل ما يجري على الساحة الاوروبية وحتى الأميركية، وخصوصا تلك المسائل المتعلقة بالإسلام والمسلمين، حيث عجّل تحرير وسائل الإعلام بتضخيم الإسلاموفوبيا وانتشارها بشكل أسرع في المجتمع اليوناني.

ولفت العبيد في ورقته إلى أنه بعد هجمات 11 سبتمبر 2001، بدأ المجتمع اليوناني يهاب من كل ما هو مسلم، كما اصبح الإرهاب البيولوجي والكيميائي هاجسا يوميا أيضا، كما عزز ظهور التنظيمات المتشددة باسم الاسلام مثل داعش، من ظاهرة الإسلاموفوبيا، كما كشفت ضربات باريس وغيرها عن أن مخاوف المجتمع اليوناني هي مخاوف حقيقية وليست مجرد قلق فقط، وقال:" منذ ذلك الحين، بدأت وسائل الإعلام اليونانية في التركيز بشكل مستمر على نقاط معينة، من أجل غسل دماغ الشريحة الأكبر من الشعب اليوناني، وجعلها تنفر من الديانة الاسلامية، دون إعطاء اي فرصة لمعرفة مبادئ وأركان هذا الدين الحنيف، فيما يخص المسائل الاجتماعية والتعاون بين البشر".

وكشفت الورقة عن عدم وجود اي مركز للدراسات الاسلامية في الجامعات اليونانية حتى هذه اللحظة، بالإضافة الى الغياب الملحوظ للمختصين الأكاديميين في مجال الدراسات الاسلامية. وعلى الرغم من ذلك، تقوم بعض الجامعات اليونانية بمنح درجة الدكتوراه في الدراسات الاسلامية أو الاسلام السياسي، بإشراف أكاديميين من أصحاب الدراسات الاقتصادية والسياسية والجيوبوليتيكة والتجارية والنقل البحري، بدون ان يتمتع هؤلاء بأية امكانيات او مؤهلات ذات صلة بالدراسات الاسلامية، الأمر الذي يعتبر عقبة في طريق اي تحسن في عملية كشف الحقائق، او تحليل كل شيء عن الاسلام بنظرة علمية دقيقة، تساعد الطلبة الجدد على فهم القيم والأخلاق والمبادئ الاسلامية.

وبينت الورقة أن هناك ايضاً قوى خارجية استطاعت ان تؤثّر بشكل كبير على مراكز اتخاذ القرار في الدولة اليونانية، مستخدمة عددا من الصحفيين والسياسيين والأكاديميين لخدمة مصالحها، والتي عادة ما تكون مضادة لكل ما هو اسلامي، ولو كان ذا طابع استثماري، مشيرا إلى إن ظاهرة الإسلاموفوبيا باتت تستخدم كحصان طروادة من قبل الحزب النازي اليوناني المسمى بالفجر الذهبي، لأجل رفع نسبة ناخبيه، والحصول على مقاعد برلمانية إضافية للاقتراب من كرسي السلطة، أو على الأقل تسلم قيادة أحزاب المعارضة في البرلمان.

وكشفت الورقة أن غياب طبقة عربية إسلامية مثقفة ومتعلمة عن الساحة، شكل دوراً في إعطاء الكارهين للإسلام فرصة أكبر لتحقيق ما يصبون اليه. كما أن هناك ظاهرة الطقوس الدينية الإسلامية الخاصة بالمذهب الشيعي، والتي بدأت بالانتشار في بعض مناطق العاصمة اليونانية، مثل ظاهرة اللطم، وما لها من أثار على الشعب اليوناني، وما تعطيه من انطباعات للمشاهد، عند رؤيتة للدماء التي تسيل من المشاركين في تلك الطقوس، وبدون أن يفهم ما هو التبرير المنطقي لذلك التصرف.

وعرضت خلال هذه المحور أوراق أخرى، مثل ورقة "الإسلاموفوبيا والتحدي للتنوع الثقافي في أروبا" قدمها د. داوود عبد الله الحاصل على الدكتوراه في التاريخ من جامعة الخرطوم ومدير مركز مراقبة الشرق الأوسط في لندن، فيما قدم الباحث الإسترالي من أصل مصري د. فريد حافظ ورقة بعنوان " من معاداة السامية إلى الإسلاموفوبيا: التحول الاستراتيجي لليمين المتطرف الأروبي"، أما الأستاذة ليندا هيوكي من معهد تحالف الحضارات في إسطنبول فحملت ورقتها عنوان: مستقبلات الإسلاموفوبيا في فنلندا، بينما ناقش الخبير بعدد من المؤسسات الأكاديمية والإعلامية والسياسية سابقا، و سفير البوسنة والهرسك لدى دولة الكويت سابقا د. ياسين رواشدة موضوع " الإسلاموفوبيا في البلقان: جذور عميقة "، وتناولت الباحثة مريم حمدون المدرسة والباحثة السابقة في جامعة انتويرب في بلجيكا في ورقتها موضوع: التحديات التي تواجه المسلمين في بلجيكا، وختمت أعمال هذا المحور بورقة للباحثة الأمريكية من أصل أندونيسي عزة بصار الدين بعنوان: "الجندر والإسلاموفوبيا ومواجهة التطرف العنيف في لوس انجلوس".

الإعلام والإسلاموفوبيا:

تم تخصيص المحور الرابع لأعمال المؤتمر لمناقشة دور الإعلام، حيث قدم د. مسعود عالم الفلاحي رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة خواجة معين الدين، في لكناؤ- الهند، ورقة حملت عنوان: الإعلام الغربي سببًا رئيسًا لخلق مصطلح إسلاموفوبيا، أكد فيها أن الإسلام و المسلمين اليوم يتعرضون لهجمة إعلامية غربية ظالمة شرسة تستهدف تشويه صورته في أعين الغرب، وإنكار قيم الإسلام النبيلة وتعاليمه السامية، متناسية ذلك التاريخ الإسلامي النبيل القائم على مبادئ التسامح والوفاء والاحترام.

وأشار الفلاحي إلى أن معظم الدراسات اتفقت على أن الإسلام كان ولا يزال أكثر الأديان تعرضاً للإساءة ولم يلق دين من الأديان من التشويه والعداء الإعلامي مثل ما لقيه الدين الإسلامي، مشيرا إلى أن الإسلام كما يصوره الإعلام الغربي لا يعدو مجرد ارث منحط لا عقلاني خال من أي قيمة إبداعية، يكبل أتباعه بمجموعة من الموروثات اللاعقلانية ويحول بينهم وبين اندماجهم في ثقافة الغرب الوحيدة القادرة على إخراجهم من تخلفهم وإدخالهم في مجرى التقدم.

وقال الفلاحي إن الناظر في تاريخ الحروب الصهيونية وامتداداتها التاريخية وآثارها على النصارى يعلم أن عداء الغرب للإسلام وكراهيته مركوز في طبيعة الغرب إلا قليلا؛ بحكم الأوضاع الخاصة التي يعيشها الإنسان الغربي وبحكم الثقافات التي يتربى عليها، ثم بحكم وسائل الإعلام التي ما تركت فرصة من فرص تشويه صورة الإسلام وسمعة المسلمين والانقضاض عليهم إلا اغتنمتها ووظفت كل مجهوداتها في سبيلها.

وقالت الورقة أن حملات التشويه وغرس الكراهية للإسلام لم تعد قاصرة على وسائل الإعلام فحسب؛ وإنما امتدت لتشمل كبار السياسيين الذين باتوا يغذون وسائل الإعلام بالتصريحات والمواقف المعادية للإسلام والمسلمين، فكان الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن والرئيس أوباما صرحا في عدة تصريحات بأن حربهم هي حرب على الإسلام وأنهم يحولون دون قيام إمبراطورية إسلامية فاشية، وفي هذه الأيام ملأ المرشح للرئاسة الأمريكية دونالد ترامب الجو الأمريكي توترا وعداء للإسلام والمسلمين، بنيه طرد المسلمين من الولايات المتحدة الأمريكية ومنعهم من دخولها.

وقال الفلاحي أن أجواء الاسلاموفوبيا هي نتاج ثقافة راسخة وصورة ذهنية تعادى الإسلام وتحض على كراهية المسلمين، كما أصبح كبار رجال الدين المسيحي يتعرضون للدين الإسلامي وعقائد المسلمين بالطعن السافر، كما فعل بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر قبل فترة عندما ردد مقولة الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني: أن محمدا لم يأت إلا بكل ما هو سئ وشرير وغير إنساني، بسبب حضه على نشر الإسلام بالعنف وبحد السيف.

أما المحاضر في قسم دراسة الأديان في جامعة هايدلبيرغ بألمانيا دانييا كوبليك فتطرق إلى موضوع اللاجئين من خلال ورقة بعنوان: "مرحبا باللاجئين أم لا؟ مشاعر العداء للمسلمين والعرب في وسائل إعلام ألمانيا بعد اعتداءات كولونيا"،

حيث ذكر أن النظرة النمطية للإسلام والتي روّجت لها وسائل إعلام مختلفة من خلال مقابلات تلفزيونية ومقالات ومؤتمرات لا تشارك فيها أصوات معتدلة، هذا إلى جانب عرض رسوم وأفلام تسيء لرموز المسلمين؛ مما ساعد في صياغة ثقافة من الكراهية المتبادلة، التي يحرص صانعوها على تأكيدها.

وقال كوبليك أن تلك المشاعر رافقتها الأزمة الاقتصادية والمنافسة على العمل، بجانب استثارة المشاعر الدينية واستدعاء أحداث التاريخ منذ الحروب الصليبية إلى زمن الاستعمار ثم صدامات الحاضر لتكون وقودا في مواجهات مستمرة على أصعدة عديدة، وقد ساعد كل هذا على صياغة وتنفيذ سياسات ومواقف عملية إقصائية أو عنيفة أساسها الخوف من المجهول القادم.

وخلال هذا المحور تمت مناقشة ورقة الباحثة في المنتدى الأوروبي لأبحاث الهجرة فيفيانا بريمازي بعنوان " بين وسائل الأعلام الوطنية والبعد المحلي: المسلمون والأسلاموفوبيا في ايطاليا"، كما تم التطرق إلى المخرجات العلمية لموضوع الإسلاموفوبيا من خلال ورقة ألقاها الأستاذ محمد هارون الأستاذ المشارك في قسم الدراسات الدينية في جامعة بوتسوانا في جنوب إفريقيا.

"الإسلاموفوبيا: نماذج معاصرة":

ضمن محور "الإسلاموفوبيا: نماذج معاصرة" قدم د. لؤي المدهون، وهو اعلامي وأكاديمي عربي يعمل محاضرا في العلوم السياسية والاسلامية في جامعة كولونيا الألمانية، ومدير موقع قنطرة للحوار مع العالم الاسلامي ورقة بعنوان: "مسؤولية المؤسسات الإعلامية في ألمانيا في مواجهة شيوع الإسلاموفوبيا وتوظيفها سياسيا من قبل حركة بيغيدا وحزب البديل من أجل ألمانيا" حيث قال أن الانعطافة الانسانية في سياسة المستشارة الالمانية ميركل وقرارها التاريخي في سبتمبر 2015 بفتح حدود ألمانيا وإنقاذ حياة مئات الآلاف اللاجئين أدت إلى تغيير نوعي في المزاج الشعبي تجاه المسلمين، خاصة بعد وصول أكثر من نصف مليون لاجئي مسلم من سوريا والعراق وأفغانستان إلى ألمانيا وإزدياد ادعاءات "أسلمة المجتمع الألماني".

وأشارت الورقة للتحول السلبي في تغطية الإعلام الألماني والذى يعود بالدرجة الاولى إلى تبني وسائل الإعلام الجماهيرية، سيما الخاصة منها، خطاباً تحريضياً إبتعد بشكل كبير عن المهنية وأخلاقيات العمل الصحافي وساهم في "شيطنة" المسلمين وتكريس الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام وعوالمه، مع تنامي تأثير حركة بيغيدا العنصرية المعادية للأجانب وواقع مجتمع الهجرة الألماني بصورة عامة، والإسلام بصورة خاصة، حيث تم وضع الديمقراطية الألمانية أمام إختبار صعب، خاصة بعد تحقيق حزب "البديل من أجل ألمانيا"، القريب أيدولوجيا من بيغيدا، مكاسب كبيرة في انتخابات ثلاث ولايات ألمانية في منتصف شهر مارس 2016، إذ صار على السياسيين الألمان الاعتراف بأن معاداة الإسلام باتت شكلاً من أشكال العنصرية، حيث يُحول الخطاب الإعلامي المسلمين الألمان إلى كبش فداء ويُحمَّلون مسؤولية كل مشاكل البلاد.

كما تطرق المدهون في ورقته بشكل مفصل إلى سبل مواجهة التوظيف السياسي للمخاوف اللاعقلانية من المسلمين من قبل حركة بيغيدا وحزب "البديل من أجل ألمانيا" اليميني الشعبوي والمعادي للتعددية الدينية والثقافية في المجتمع الألماني، وقدم توصيات عملية نابعة من خبرة كاتب الورقة في العمل مع الإعلام الألماني وتجربته الإعلامية كمدير لموقع قنطرة للحوار مع العالم الإسلامي، الذي يعد أهم موقع رصين لدعم التواصل بين ألمانيا والعالم الإسلامي، وذلك لتأطير الإعلاميين والإعلاميات وتطوير معايير إعلامية تتعامل مع حقوق الأقليات بشكل مستنير ومنفتح وتساهم في الإبتعاد عن عقلية الاستقصاء.

أما الأستاذ بمركز علم الأعراق البشرية التابع لجامعة شانشي بجمهورية الصين الشعبية ماتشانغ رمضان فتطرق إلى موضوع "أقلية الوسطاء وإسهامها في القضاء على الإسلاموفوبيا: الدور الاجتماعي لمسلمي الـ "هيوي" وتجربتهم في الصين"، فيما طرح الكاتب والناشط في كشمير الأستاذ مشتاق الحق أحمد في بحث موضوع "الإسلاموفوبيا في الهند"، وضمن ذات الإطار قدم الباحث آلاستر ديفيسيون مدير برنامج في مؤسسة قرطبة في جنيف ورقة حول "تخفيف حدة التوترات عبر الوساطة: وعبر مبادرات تم استخلاصها بعد الرسوم الكاريكاتيرية الدانماركية والتصويت السويسري ضد بناء المساجد"، في حين قدم محمد الأرناؤوط عضو أكاديمية العلوم الكوسوفية وأستاذ الحضارة في جامعة العلوم الاسلامية في عمان ورقة تمحورت أساسا حول "الإسلاموفوبيا في مجتمع أوروبي بغالبية مسلمة خصوصية الإسلاموفوبيا الألبانية".

ختام المؤتمر:
في ختام المؤتمر دعا المُشاركون الغرب إلى التحرّر من المفهوم الضيّق الذي يعادي الإسلام من خلال حملات التحيّز والعداء للمسلمين والإسلام، مُحذّرين من أنّ هذا التحيّز الغربي والعداء المستمرّ لن يخدم الأمن والسلام العالمي بل يؤجّج الإرهاب والصراع.
وأكد المؤتمرون أن الإعلام الغربيّ سبب رئيسيّ في تنامي ظاهرة العداء للإسلام والمُسلمين من خلال ما يبثّه من حملات كراهية ومعلومات مغلوطة ومُضللة.
يذكر أن منتدى العلاقات العربية والدولية هو مركز للأبحاث والدراسات تأسس عام 2011م في العاصمة القطرية الدوحة للإسهام في دعم التنمية الثقافية والسياسية وتعزيز آليات الحوار بين الاطراف السياسية والفكرية المختلفة، ولتحقيق أهداف المنتدى المنشودة يستضيف الباحثين والمفكرين والاكاديميين من المنطقة العربية والعالم، ويقدم أعمالهم للناس عبر مؤتمرات وندوات، وعبر نشر أبحاثهم وإصدار كتبهم.